فلسطين (١٩٤٨ ـ ١٩٦٣)، أو حتى منظمة التحرير الفلسطينية في المراحل الاولى من قيامها، بقادرتين على تغيير الرؤية الاوروبية الى القضية الفلسطينية، والتي تمحورت حول مقولة «اللاجئين الفلسطينيين»، وعدم وجود طموحات في بعث كيان سياسي للفلسطينيين.

واذا أهملنا الحديث عن بعض الحيثيات التي قادت انقلاباً في هذه الحالة من التشتت السياسي الفلسطيني والتجاهل الاوروبي وحتى حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، سوف نجد ان الحوار العربي ـ الاوروبي قدم فرصة مواتية عملت منظمة التحرير الفلسطينية على انتهازها، لتوسيع حركتها السياسية ـ الاعلامية في دول الجماعة الاوروبية.

سعت المنظمة، ضمن ما طرحه الجانب العربي، الى توضيح أبعاد القضية الفلسطينية، ولفت انتباه الحكومات الاوروبية نحوها. ولم يكن تقبّل الاوروبيين للمشاركة الفلسطينية في ذلك الاطار بالأمر الهيّن. ومن هنا ركزت الدبلوماسية الفلسطينية على ضرورة فتح سبل الاتصال بالجانب الاوروبي لتفادي اعتراضاته والتعريف بالمنظمة. وضمن هذا السياق، أُجريت لقاءات «استطلاعية»، في منتصف السبعينات، بين عدد من الاطر القيادية الفلسطينية ووفود اوروبية على مستويات مختلفة، سواء تم ذلك في بعض العواصم العربية، او خلال زيارات، او جولات قام بها مسؤولون فلسطينيون على مختلف العواصم الاوروبية[٥٨]. ويبدو ان العمل السياسي الفلسطيني وجد صداه خلال العامين الأولين من تجربة الحوار العربي ـ الاوروبي. فقد وجد الاوروبيون أنفسهم وجهاً لوجه تجاه قوى نشطة لها منطقها المتكامل بشأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي (والذي يطلقون عليه في أوروبا مصطلح أزمة الشرق الاوسط). وعلى الرغم من ان النشاط الفلسطيني كان ملحوظاً، الّا ان مساندة الجانب العربي لعبت دوراً بالغ الأهمية. فقد ساند العرب مبدأ المشاركة الفلسطينية في الحوار؛ ثم اردفوا ذلك بالعمل على ابراز دور الوفد الفلسطيني في دورات الحوار وجلساته. ومن يقدّر له مطالعة الوثائق المتعلقة بتجربة الحوار، يدرك ان العامل العربي «كان حاسماً في حث الاوروبيين على الاحتكاك المباشر بالمطالب الفلسطينية». لقد بدت تلك المطالب، والحال كذلك، كمطلب عربي واحد، بحيث توافق الجميع على ان القضية الفلسطينية قد انفردت بالجانب السياسي من الحوار. يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره رئيس الجانب الفلسطيني في الحوار، حين قال: «كان الاخوة العرب يساندوننا دائماً، بحيث تبرز القضية الفلسطينية»[٥٩].

من جانب آخر، اعتنت الدبلوماسية الفلسطينية بمستوى «التعامل الثنائي» مع دول الجماعة الاوروبية ودول اوروبا الغربية عموماً. ويبدو ان الفلسطينيين أدركوا، من خلال تجربة الحوار، ان القناعات الذاتية لدول الجماعة الاوروبية، وبخاصة قواها الكبرى (فرنسا والمانيا الاتحادية وبريطانيا وايطاليا)، لها أولوية هامة عند الاقدام على المواقف الجماعية التي يعلن عنها، على مستوى رؤساء دول وحكومات الجماعة في لقاءاتهم الدورية[٦٠].

اتجهت منظمة التحرير الفلسطينية الى فتح مكاتب لها في العواصم الاوروبية. ونجحت، في بعض الاحيان، في الوصول بممثلياتها في بعض الدول الى مستوى «سفارة»، كما هو الحال في اليونان واسبانيا. وقد كان التوجه السابق هو افتتاح مكاتب اعلامية يشرف عليها بعض العاملين في اطار الجامعة العربية. وبمرور الوقت وببعض الجهد، أضحت المنظمة ذات وجود ملموس بمكاتب خاصة في معظم العواصم الاوروبية. ومع ذلك، يجب الاحتراز والالتفات الى ان كل دول الجماعة الاوروبية (عدا اليونان واسبانيا) لا تعترف بالمنظمة «كممثل شرعي وحيد» للشعب الفلسطيني، على الرغم